

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ اللّٰهُمَّ یَسِّرْ

عِلْمَ الْفِرَقِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَقَدْ اَهْتَمَّتْ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ اَهْلِ الْفِكْرِ الْمُشْتَغَلِينَ بِالْفَلْسَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ عَلَى السَّوَاءِ. وَالتَّالِيفُ فِي الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَ الْإِسْلَامِيِّينَ فِيهِ أَسْبَقَ مِنْ اَهْلِ الدِّيَانَاتِ الْاُخْرَى. وَالكُتُبُ فِي الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ اَشْهَرِ الْكُتُبِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيِّ، وَمَنْهَجِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْبِيحِهَا وَتَصْنِيفِهَا مِنَ الْمَنَاهِجِ الَّتِي تُحْتَذَى، وَبَعْضُ هَذِهِ الْكُتُبِ قَدْ حَاوَلَ مَوْفُوها أَنْ يَكُونُوا مَحَايِدِينَ وَمَوْضُوعِيِّينَ بِقَدْرِ الْمُسْتِطَاعِ، وَبَعْضُهَا أَوْجَزَ مَوْفُوها آرَاءَ أَصْحَابِ هَذِهِ الْفِرَقِ وَأُورِدُوا مِنْهَا مَقْتَطَفَاتٌ، وَبَعْضُهَا كَانَ مَصْنُوفِها يَنَاقِشُونَ هَذِهِ الْآرَاءَ وَلَا يَكْتَفُونَ بِإِيرَادِهَا، وَالبَعْضُ كَانَ يَرِدُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِرَقِ وَيُظْهِرُ تَهَافُتَ آرَائِهِمْ وَتَعَارُضِهَا مَعَ الدِّينِ. وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَنَّ الْفِرَقَ فِي الْإِسْلَامِ إِنَّمَا يَخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنِ بَعْضٍ بِآرَاءٍ وَمَذَاهِبٍ : إِمَّا فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَإِمَّا فِي أَصُولِ الْفِقْهِ، وَإِمَّا فِي الْفَلْسَفَةِ، وَإِمَّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ وَالْحُكْمِ وَقَوَاعِدِ الْعِمْرَانِ. وَليسَ أَدَلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ مَا اخْتَلَفُوا بِشَأْنِهِ مِنْ قِيَامِ كُلِّ هَذِهِ الْفِرَقِ الَّتِي اسْتَعَصَتْ عَلَى الْحَصْرِ أَحْيَانًا، وَالَّتِي اسْتَعَصَى رِصْدُ كُلِّ مَذَاهِبِهَا وَأَفْكَارِهَا أَحْيَانًا أُخْرَى.



وَمِنَ الْكُتُبِ الثَّقَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا مَصْنُفُونَ كِبَارٌ لَهُمْ وَزَنَهُمُ الْعِلْمِيُّ وَالْفِكْرِيُّ كِتَابُ الشَّهْرِسْتَانِيِّ «الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ». وَالشَّهْرِسْتَانِيُّ (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) شَافِعِي الْمَذْهَبِ، أَشْعَرِي الْأَصُولِ. وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسٌ عِلْمِيَّةٌ يَوْمُهَا الْأَفَاضِلُ وَالْحُكَمَاءُ، وَكَانَ مَا يَلْقِيهِ فِيهَا يُسَجَّلُ وَيُدَوَّنُ لَخَطَرِهِ وَعَمِقِهِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ تَهْرِيْمٍ بَرْدِي فَقَالَ : كَانَ الشَّهْرِسْتَانِيُّ إِمَامَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، عَالِمًا بِغَنُونِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَعَلَيْهِ تَخَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَذَكَرَهُ يَاقُوتٌ فَقَالَ : إِنَّهُ الْمُتَكَمِّلُ الْفَيْلسُوفِ صَاحِبُ التَّمَانِيْفِ. وَقَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ مُصْطَفَى عَبْدُ الرَّازِقِ : الشَّهْرِسْتَانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.



وَمِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الْعَظِيمَةِ أَيْضًا مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ لِشَيْخِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الْإِمَامِ

أبى الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن تيمية فى كتابه منهاج السنة المحمدية، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، مع أن الأشعري كان منهجه فى كتابه منهج أهل الفلسفة، وحاول أن يوفق به بين مذهب أهل السنة ومذهب أهل العقل.



واللافت للنظر فى كل المصنفات جلية القدر عن الفرق الإسلامية أن واضعيها كانوا من أهل السنة كالشهرستاني والأشعري السابقين، وكفخر الدين الرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٠٦هـ صاحب كتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، وابن حزم الأندلسى، الفقيه الظاهرى المتوفى سنة ٣٨٤هـ، صاحب كتاب «الفصل فى الملل والنحل»، وعبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ، الإمام الأصولى، وصاحب كتاب «الفرق بين الفرق». وغير هؤلاء كثيرون لم يكن من بينهم مصنفون من الشيعة لهم هذا الوزن الفكرى الذى كان لمؤلفى الفرق من السنة. وليس مجالنا هنا أن نحصى كتب الفرق السننية، وإنما مجالنا فى هذا البحث هو فرق الشيعة دون غيرها، والمصنفون من الشيعة الذين تناولوها. ومن هؤلاء على سبيل الحصر محمد بن هارون أبو عيسى الوراق المتوفى سنة ٢٤٧هـ، وكتابه هو «المقالات»، وله أيضا كتاب «اختلاف الشيعة»، وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختى المتوفى نحو سنة ٣١٠هـ، والذى ننشر له كتابه «فرق الشيعة» وهو أفضل الكتب فى هذا المجال، وقد أشار إليه كثيرا أبو الفرج الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ فى كتابه تلبس إبليس؛ وأبو القاسم نصر بن الصباح البلخى المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى، وقد روى عنه الكثيرون كتباً منها «كتاب فرق الشيعة»، وأبو المظفر محمد بن أحمد النعمى وله «كتاب فرق الشيعة»، وأبو طالب الأنبارى المتوفى سنة ٣٥٦هـ، وله كتاب «فرق الشيعة» كذلك، وسعد بن عبد الله أبى خلف الأشعري القمي وكتابه «فرق الشيعة» من الكتب المعتمدة عندهم.

هذا إذن هو ماتيسر لنا من هذه الكتب، وما تورده المراجع الشيعية فى هذا المجال. والمقارنة بين كتب السنة وكتب الشيعة فى التصنيف للفرق يشهد بعلو كعب المؤلفين من السنة، وأن علم الفرق هو من علوم الكلام التى أجادوا وأبدعوا فيها. وقد أشاد بذلك وشهد به المستشرقون كافة.

وإذ حصلتُ على كتاب فرق الشيعة للنويختي، وكتاب فرق الشيعة للقمي فقد هاننى أن يكون الكتابان كتاباً واحداً، أو أن كتاب القمي على منوال كتاب النويختي، فالكلام هو نفس الكلام، والطريقة هي نفسها، والمنهج هو ذاته. ففي الفقرة ٥٨ مثلاً ينقل القمي عن النويختي الفقرة بكاملها وتقع في نحو أحد عشر سطراً، وهكذا بواليك في كل الكتاب، الأمر الذي ظن معه المؤرخون أن كتاب القمي هو نفسه كتاب النويختي، مع تزيّد أو شروح أضافها القمي هنا وهناك. وهو يضيف أحياناً في عدد الفرق، وأحياناً أخرى يضيف في الأفكار نفسها عن الفرقة. وقد قيل في هذه الشروح والإضافات أن القمي كان شيعياً خالصاً، وأنه كان محدثاً فقيهاً، وأما النويختي فكان متكلماً، ومن هنا كان هذا الاختلاف الذي ظهر بين الكتابين. غير أننا لم نجد مبرراً للدعوى بأن القمي كان أكثر ثقة من النويختي كما يزعم الدكتور محمد جواد مشكور، ولو كان كذلك لما ادعى لنفسه كتاب النويختي، أو لما نسبه إليه بعضهم، ولما استنكف أن يقتطف منه كتابه كله، ومجال ذلك مانسميه بالسرققات الأدبية. ومع ذلك لأحسب أن القمي وقد كان عالماً معتبراً قد جرؤ على انتحال مصنف النويختي، والرأى عندي أن القمي كان يلقى محاضرات في مجالسه عن الفرق، وكان أمامه كتاب النويختي يقرأ منه ويزيده شرحاً، ويوضح ماغمض من أسلوبه، ويستكمل الناقص. وكان تلاميذه يسجلون ذلك عنه. فلماً نسخه الناسخون وضعوا على الكتاب والحواشى اسم القمي، ثم أورده المؤرخون بصورته الجديدة منسوباً إليه. وقد جاء اسم الكتاب «فرق الشيعة» كما هو عند النويختي ضمن فهرست الشيخ الطوسى. وورد هكذا فى رجال النجاشى، ثم حلاً للبعض أن يغير الاسم لسبب أو لآخر فنذكروا أنه «مقالات الإمامية، والفرق وأسماؤها وصنوفها»، ونشره الدكتور محمد جواد مشكور باسم «كتاب المقالات والفرق».



ويبدو أن القمي كان معاصراً للنويختي، ومن مقارنة أسلوب العالمين فى التأليف يتبين أن النويختي كان شديد الإيمان بالله، فهو لا يذكره بون أن يضيف إليه من أسمائه وصفاته ما يظهر التقديس ويبين عن خالص العبودية، فيقول باستمرار «قال الله تعالى»، أو «وقد نبّه الله عز وجل»، أو «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»، والقمي لا يفعل ذلك ويذكر اسم الله

مجردا. وكذلك كلما جاء ذكر النبي فإن النوبختي يقول «صلى الله عليه وآله»، بينما يرد ذلك لماما عند القمي. وكذلك الشأن مع الأئمة ابتداءً من علي بن أبي طالب، فإن النوبختي يذكرهم ويقول باستمرار عليه أو عليهم السلام، وذلك لا يحدث مع القمي إلا كلما تعلق ذلك بفرقة الإمامية، وأحيانا يقول بعد علي عليه الصلاة والسلام، وذلك لا يحدث مع النوبختي.

ونحن نميل إلى أن نرد التشابه المفرط بين الكتابين إلى أن القمي كان يقرأ من كتاب النوبختي ويعلق عليه، أو أنه كان يملأ من الكتاب ويورد ما يشاء من الحواشي عليه، ودليلنا على ذلك هو أسلوب كل من النوبختي والقمي، والأخير بعد أن يورد نص النوبختي يزيد عليه ويسترسل في الكلام، ولا يربط بين أجزاء العبارة، وإنما تجيء عبارته بتقطيع الخطاب الإملائي - يقول مثلاً في فرقة الخمسة : وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلبس، لاحقيقة لها، والمعنى شخص محمد وصورته، لأنه أول شخص ظهر، وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجودا بذاته، يتكون في أي صورة شاء، ويظهر نفسه لخلق في صور شتى من صورة الذكران والإناث، والشيوخ والشباب، والكهول والأطفال، يظهر مرة والدأ، ومرة ولدأ، وما هو بوالد ولا بمولود، ويظهر في الزوج والزوجة، وإنما أظهر نفسه بالإنسانية والبشرانية، لكي يكون لخلق به أنس، ولا يستوحشوا ربهم».

هذا هو أسلوب القمي، وواضح أنه أسلوب إملائي استرسالي خطابي، تعوزه أدوات الربط التي تميز: الأسلوب الكتابي، وذلك من الاختلافات بين النوبختي والقمي، فكلما أراد القمي أن يتزيد فإنه يتخلى عن طريقة النوبختي وتكون له طريقته هذه المتميزة، وبذلك تصير لدينا فقرتان مختلفتان في الأسلوب، واحدة وهي الأصل للنوبختي، والأخرى وهي الإضافة للقمي.

وفي الفقرة ١٤٤ مثلاً يقول النوبختي في نهايتها : وتأولوا في ذلك قول الله تعالى «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» فالواجب أن تبدأ بهؤلاء ثم بسائر الناس، وعددهم كثير، إلا أنه لاشوكة لهم ولا قوة، وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر، ولعلمهم أن يكونوا زهاء مائة ألف». وينقلها القمي متزيداً وشارحاً : فتأولوا في ذلك قوله تعالى «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»، فالواجب أن يبدأوا بهؤلاء الذين نصبوا إماماً من ولد جعفر بن محمد غير إسماعيل وابنه محمد، ثم سائر الناس ممن نصب إماماً

من بنى هاشم وغيرهم، ثم بسائر الناس، وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة، ولم يكن لهم شوكة ولا قوة، وكان كلهم بسواد الكوفة، وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحي البحر واليمامة وما والاها، ودخل فيهم كثير من العرب، ففوقوا بهم وأظهروا أمرهم».

هذا إذن هو الفرق بين الكتابين والأسلوبين والطريقتين. وأحياناً يتناول التغيير بعض الألفاظ حيث يقول النوبختي مثلاً «وقال بعضهم أنه قد مات، وأنه القائم، وأن فيه شبهة من عيسى بن مريم صلى الله عليه»، فيغير القمّي ذلك قائلاً «وقالت فرقة أنه قد مات، وأنه القائم، وأن فيه سنة من عيسى بن مريم».

ومع ذلك فإن الزيادات والإضافات التي ألقها القمي بكتاب النوبختي لهُ ذات فائدة كبيرة لأنها تزيد المعنى وضوحاً، ولأنه بها يورد أفكاراً عن فرق الشيعة تجعلنا على بينة أكثر من تفكير أصحابها، ومن العصر الذي هي فيه عموماً.

ومن أجل ذلك فقد رأيت أن أحقق الكتابين معاً، فاستكمل الناقص عند النوبختي بالزيادة عند القمّي، وأصحح الخطأ الذي قد يرد هنا أو هناك، وأنقح النسختين حيث أن فيهما كلمات أو عبارات قد سقطت عند أحدهما ولم تسقط عند الآخر، وعلى ذلك فقد تعاملت مع الكتابين وأوردتهما في هذه النسخة التي أقدمها للقارئ المهتم بكتاب واحد، وميّزت بين كلام كلٍ بأن جعلت الأصل هو كتاب النوبختي، وذلك أمر طبيعي، ثم وضعت الإضافات عند القمي بين قوسين هكذا [ ]، وأما تصحيحاتي على النص فقد أوردتها بين قوسين هكذا ( )، ثم ألحقت بذلك كله هوامش هي جميعها من عندي.



## النُوبَخْتِي

ومؤلف كتاب «فرق الشيعة» هو أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، وعائلته النوبختية مشهورة بتخريج الكثير من المنجمين، وأبوه كان منجماً، ومعنى اسم العائلة «نوبخت» «العظ الجديد»، حيث «نو» بمعنى جديد كما في الإنجليزية والفرنسية، (فالغة الفارسية لغة آرية ترتبط باللغات الأوروبية)، و«بخت» هي نفسها كلمة بخت العربية أي الحظ، ومن الجائز إبدال الواو ياء فنقول نبيخت مثلما نفعل في نوروز فنقول نيروز.

وتورد المراجع مثل فهرست النجاشي، وفهرست الطوسي : أن النوبختي متكلم فيلسوف، وله كتب في الكلام والفلسفة يستدرک فيها على متكلمين من أمثال أبي الهذيل العلاف، وأصحاب المنزلة بين المنزلتين في الوعيد، والمجسمة، والواقفة، وجعفر بن حرب، وابن الرواندي. وقيل فيه إنه المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمئة وبعدها، وأنه من أفاضل رأس الثلاثمئة الهجرية.

وللنوبختي كتاب «اختصار الكون والفساد» لأرسططاليس، و«التوحيد»، و«الجامع في الإمامة»، و«الرد على أصحاب التناسخ»، و«الرد على الغلاة»، و«الرد على فرق الشيعة»، و«فرق الشيعة» وهو هذا الكتاب الذي ننشره هنا والذي ذكره الإمام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة».



## القُمِّي

وأما القُمِّي فهو : سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري، قيل إنه عربي الأصل وليس كالنوبختي الفارسي، وأنه ينتسب إلى بني الأشعر من قبائل اليمن، وقيل إنه سمي كذلك لأن أمه ولدته كثير الشعر على بدنه. وقيل إن أول من هاجر من العرب إلى قم أخوان يقال لأحدهما عبد الله والآخر الأحوص سنة ٦٢هـ، وقال ياقوت إن أول من مصر قم هو طلحة بن الأحوص الأشعري في أيام الحجاج سنة ٨٣هـ، وأن اسمها كان كمندان فحرفها العرب في النطق إلى قم وأسقطوا دان، وأن عبد الله بن سعد هو الذي أدخل التشيع إليها حتى صار كل أهلها من الشيعة. ويروي الدكتور مشكور عن ذلك حكاية يصفها بأنها «طريفة» وهي أن أحد ولاتها كان سنياً، فاغتاز أن يكون كل أهلها من الشيعة، وأنهم يسبون الصحابة، ولا يسمون أولادهم باسم أبي بكر وعمر، فأقسم أن يفعل بهم كيت وكيت إن لم يحضروا له رجلاً باسم أبي بكر أو عمر، ففتشوا إلى أن عثروا على صعلوك حافٍ أحول من أقبح خلق الله باسم أبي بكر!! والحكاية ليست «طريفة» كما نرى ولكنها تفصح عن تعصب وبغض شديدين. وكنت في كتابي عن «عمر الخيام» قد ذكرت أن الخيام أصله عربي، واستدللت على ذلك باسمه «عمو»، وقلت إن الشيعة في إيران لا يسمون أولادهم باسم الشيخين أبي بكر وعمر، ومن ثم فلا بد أن هذا الاسم قد أطلقه والد الخيام عليه لأنه عربي أولاً، وهو ثانياً سنِّي.